الآثار المعمارية في العراق في العهد العثماني
(المساجد والخانات تموذجاً)

عبد الوهاب عصام عبد الوهاب زيدان

محاضر في كليّة العلوم الإسلاميّة/ جامعة كارابوك

Architectural Monuments İn Iraq During The Ottoman Era
(Mosques and Khans Model)

ABDALWAHAB I. A. ZIDAN
Lecturer at the Faculty of Islamic Sciences / University of Karabuk

Osmanlı döneminde Irak'taki mimari anıtlar
(Model olarak camiler ve hanlar)

Öğr.Gör. ABDALWAHAB I. A. ZIDAN
Karabük üniversitesi, E-mail: abdalwahabzidan@karabuk.edu.tr

Uluslararası Irak’ta Osmanlı İzleri Sempozyumu

الملخص

العمارة هي مظهر من مظاهر التطور الاجتماعي في أي مجتمع، وانعكاس للوضـــع الاقتصـــادي الذي يعيشـــه المجتمع، ومن هذا المنطلق فإننا نتناول في هذه الدراســـة ملامح العمارة في العراق خلال المرحلة العثمانية (المساجد والخانات نموذجًا)، والهدف من البحث هو دراسة تأثير فن العمارة العثمانية على الطراز العمراني للمدن العراقية من خلال تسـليط الضـوء على عمارة المسـاجد والخانات التي تم إنشـاؤها أو إعمارها بالعراق في العهد العثماني، ومن خلال تتبع خصـائص التصـميم المعماري للمسـاجد والخانات العثمانية والخصـائص المعمارية للمسـاجد والخانات العراقية في تلك الحقبة، تبين أن هناك ملامح معمارية مشـتركة فيما يتعلق بالمسـاجد، على سبيل المثال: القبة المركزية، وجناحين جانبيين، ومدخل مصلّى مركزي، والعثمانيون تركوا بصمات واضحة على المُنشآت التي شيدوها، سواء من ناحية التصميم أو النواحي الفنية والزخرفية، أما الخانات فهي مؤسسات قائمة ومتطورة وذات سمات خاصـة اكتسبتها على مرّ العصـور، ومما لاشك فيه أنَّ هذا الأمر له تأثير على رغبات الناس، فيعكس هؤلاء الناس تلك الرغبات في طرز أبنية أخرى يقيمونها، كالمنازل أو المدارس أو المساجد، وهذا يعني أنَّ هناك تأثيراً متبادلاً بين هذه المنشـــات والخانات من الجانب المعماري، فلا غرابة إذا ما وجدنا بعض المنازل العراقية التي تشـبه الخانات في شـكلها وتصـميمها، كما أن بعض المنشـات المعمارية أيضـا كالأسـواق والقلاع، والقصـــور، والدكاكين والحوانيت، والأربطة، والأديرة أو الكنائس، تشـــبه الخانات من حيث ضـــخامتها وبنائها.

الكلمات المفتاحية: العمارة، العراق، الدولة العثمانية، المساجد، الخانات.

Abstract

Architecture is a manifestation of social development in any society, a reflection of economic situation experienced by the community, and therefore we address in this study features of the architecture in Iraq during the Ottoman period (Mosques and khans model). The aim of the research is to study the impact of Ottoman architecture on the urban style of Iraqi cities by shedding light on the architecture of mosques and khans that were built or reconstructed in Iraq during the Ottoman era, and by tracing the characteristics of the architectural design of Ottoman mosques and khans and the architectural characteristics of Iraqi mosques and khans in that era, it turns out that there are common architectural features with respect to mosques, for example: the central dome, two side wings, and the central entrance to the prayer hall. The Ottomans left clear imprints on the facilities they built, both in terms of design and artistic and decorative aspects. As for the khans, they are advanced institutions, and have Special features that have been acquired throughout the ages, and there is no doubt that this matter has an impact on people's desires, so these people reflect those desires in the models of other buildings they build, such as homes, schools or mosques. This means that there is a reciprocal influence between these facilities and the khans from the architectural aspect, so it is not surprising if we find some Iraqi houses that resemble khans in their shape and design, as well as some architectural facilities such as markets and castles, Palaces, shops, arcades, monasteries or churches are similar to khans in terms of their size and construction.

Keywords: architecture, Iraq, the Ottoman Empire, mosques, khans.

توطئة:

يعتبر فن العمارة في العهد العثماني مظهراً من مظاهر الحضارة والمدَنيّة الحديثة بصبغة إسلامية، وقد نشأ هذا الفن في مدينتي بورصة وإدرنه في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، ثم انقل إلى الأناضول، ومنه إلى الشام والعراق، ولا شك أن العمارة العثمانية تطورت من العمارة السلجوقية السابقةِ وتأثرت بالعمارة الفارسية، واستفادت أيما استفادة من الهندسة المعمارية البيزنطية، وقد استمرت الدولة العثمانية تقريباً 500 سنة، وخلال هذه الحقبة التاريخية، قد بسطت نفوذها على مساحة جغرافية واسعة، وتركت آثاراً معمارية تدل على براعتها في هذا المضمار وتفوقها في هذا الميدان، ولعل العراق بمدنه العريقة شاهدٌ على ذلك، فبغداد والبصرة والنجف وكركوك وغيرها من المدن تضم بين جنباتها العديد من المساجد والخاتات والمقامات والمنشآت العثمانية، وسنسلط الضوء في بحثنا هذا على بعض هذه الآثار (المساجد والخانات نموذجاً) ونبين مدى انعاكسها على العمارة العراقية.

جاءت المساجد العراقية متأثرة بطراز العمارة العبّاسية، وفيها روحانية غير متأثرة بعوامل سياسية، وفي تلك المساجد تستنشق عبق التاريخ، ومما لا شك فيه، أن التقدم المعماري الذي وصل له العثمانيون كان له انعكاسات على المساجد التي أنشؤوها أو التي قاموا بترميمها في العراق، وقد تركت الدولة العثمانية بصمة واضحة على الطراز المعماري للمدن التابعة لها، وأضافت ملامح جمالية وزخرفية في المنشآت التي شيدتها.

وفي هذا الإطار فإنَّ الدولة العثمانية كانت قد أنشأت العديد من الخانات بين المدن العراقية وفي داخلها لأغراض سياسية وعسكرية وتجارية، وهذا انعكس بشكل أو بآخر على عمارة بعض البيوتات والأسواق والأسبلة في المدن العراقية.

1. فن العمارة العثمانية (النشأة والتطور)

1.1. لمحة تاريخية:

ينحدر العثمانيون من إحدى القبائل التركية والتي كانت تعرف بِـــ: قايي (Kayı)، وقد تزعمَّ هذه القبيلة قوندوز ألب (Gündüz Âlp)، وفي عهده نزحت القبيلة إلى الأناضـول (حوض نهر دجلة) هرباً من المغول بقيادة جانكيز خان الذي فرض سـيطرته على آسـيا الوسـطى، وما لبث قوندز ألب أن توفي، فخلفه ابنه ســـليمان شـــاه (Süleyman Şah)، ثم حفيده أرطغرل (Ertuğrul Gazi) والد مؤســـس الدولة العثمانية: عثمان (Osman Gazi)، ويعتبر الحجر الأساس في تأسيس هذه الدولة هو إقطاع السلطان السلجوقي أرضاً لهذه القبيلة تعبيراً عن امتنانه لمسـاندتهم له في محاربة جلال الدين خوارزم شـاه خاقان تركسـتان، وقد عُيِّن عثمان أميراً على قبيلته بعد وفاة والده أرطغل ســـنة 1281 م، وقد أظهر عثمان قدرات إدارية عالية، فاســـتطاع يحول نظام القبيلة المتنقلة إلى الإمارة التي تميل إلى الإستقرار، واستمرّ عثمان في توسيع رقعة دولته على حساب البيزنطيين، إلى أن توفي سنة 1326 م أثناء حصاره لمدينة بورصـة، ليتولى الحكم ابنه أورخان، الذي كان فتح بورصـــة على يديه، وقد جعلها عاصـــمة لدولته، وقد ضـــمت المدينة بين جنباتها أثاراً عثمانية لازالت إلى يومنا شـــاهدة على تلك الحقبة التاريخية، وبعد وفاة أورخـان تولى ابنـه مراد الأول الحكم، واتجـه لفتح بعض المنـاطق في البلقان إلى أن فتح مدينـة "إدرنه" سنة 798هـــ / 1362 م، ونقل مركز العاصمة إليها، وظلت "إدرنه" عاصمة للعثمانيين إلى أن فتحوا مدينة القســـطنطينية، تولى الحكم على التوالي "بايزيد الأول" ثم "محمد الأول" ثم "مراد الثاني" إلى أن جاء السلطان الفاتح محمد خان الثاني الذي أيده الله تعالى بفتح القسطنطينية سنة 857 هـ/1453 م[1].

2.1. المراحل التي مرَّ بها فن العمارة العثمانية [2]:

1.2.1. بداية النهضـة العمرانية: بدأت هذه المرحلة في عهد بيازيد الأول، فقد أمر بإنشاء جامع بورصة الكبير سنة 1396 م، ثم توالدت الأعمال العمرانية بعد ذلك.

([1]) انظر: محمد فريد بك، ط2، مطبعة محمد أفندي مصطفى، تاريخ الدولة العلية العثمانية، مصر، 1314 هـ -1896 م، ص 39-65.

([2]) انظر: محمود زين الدين، ط1، دار قابس، عمارة المساجد العثمانيّة، لبنان، 2006، ص 30، 40، 48.

جامع بورصة الكبير – أولو جامع

2.2.1. المرحلة الانتقالية: والتي بدأت بفتح السلطان محمد الفاتح لمدينة القسطنطينية سنة 1453 م، هذا الحدث التاريخي الذي بشرَّ به النبي صلى الله عليه وسلم، وبدخول محمد الفاتح إلى مدينية القسطنطينة توجه إلى كنيسة آيا صوفيا معلناً تحويل الكنيسة إلى جامع تقام فيه الصلاة، وقد أنشأت على زوايا الجامع أربع مآذن في فترات زمنة متعددة، ثم أصيح هذا الجامع بطوله الشاهق، والمسقوف بالقبب البيزنطية، أنموذجاً للجوامع التي أنشأت لاحقاً في تلك المرحلة التاريخية، وقد أنشأ السلطان محمد الفاتح في في فترة حكمه الذي استمر 30 عاماً ما يقارب 300 مسجداً، لعل أهما جامع الفاتح الذي شُيِّد في وسط إستانبول سنة 1463 م، هذا بالإضافة للقصور والمدارس والحصون والقلاع.

جامع الفاتح

جامع آيا صوفيا

3.2.1. مرحلة الرقي المعماري: حيث كانت العمارة العثمانية في أوج تألقها، فعندما تولى السلطان سليم الأول الحكم سنة 1512 م، استمر حكمه مدة 8 سنوات كانت مليئة بالمعارك والفتوحات، فقد انتصر على الدولة الصفوية في معركة جالديران، وهذا مهد الطريق لفتح العراق، وكان ضمن ذلك الجيش فتى يُدعى معمار سنان، متنقلاً مع الجيش بين مدن تاريخية عريقة، ومطلعاً على آثارٍ معماريّة عظيمة، وقد مكّنه ذلك من الإلمامِ بثقافات متنوعة، فاتسعت آفاقه، وبعد وفاة السلطان سليم الأول، تولى الحكم ابنه سليمان القانوني سنة 1520 م، وفي عهده كانت بغداد تتبع للدولة العثمانية، وفي هذه الأثناء واصل المعمار سنان نشاطه المعماري وأثبت جدارته، إلى أن عُيِّن سنة 1534 م كبير المعماريين، وكان عمره آنذاك 50 سنةً، إن أهم أعمال سنان وأكثرها ضخامة في تركيا[3]:

أولاً: جامع السليمانية (1557 م) في استانبول.

جامع السُليمانية

([3]) زين الدين، ص 48.

ثانياً: جامع شاه زاده (Şehzade Cami) (1548 م) في استانبول.

جامع شاه زاده

ثالثاً: جامع السليمية (1574 م) في إدرنة.

جامع السليمية

3.1. الخصائص التصميمية للمساجد العثمانية[4]:

1.3.1. المكونات الأساسية للمسجد: حديقة ، صحن ، مُصلّى.

2.3.1. الفناء الداخلي: شـــكله منظم إما مربع أو مســـتطيل، غالياً ما يكون محاطاً بأروقة من أربعة جهات، تكون ذات سُقُف مُقبّبة، كما يحنوي الفناء على المداخل الإساسيّة للمسجد.

3.3.1. المُصـــلّى: الأعمدة داخل المصـــلى قليلة وضـــخمة، المدخل إلى المصـــلى يكون على محور المحراب، يتميز المصلى بارتفاع السقف الذي قد يصل إلى 40 متراً .

4.3.1. المئذنة: في أغلب الأحيان تكون متعددة، شـكلها مضـلع أقرب إلى الدائري، ذات نهاية مخروطيّة، قطرها صغير نسبياً، وارتفاعها شاهق، مكونة من شرفة واحدة أو ثلاثة بشكل دائري.

5.3.1. التسقيف: بالنسبة للمساجد الصغيرة المصلى بأكمله يكون مسقوفاً بقبة واحدة نصف كروية، في حين أن المســـاجد الكبيرة فالجزء الوســـطي من المصـــلى يكون مســـقوفاً بقبة واحدة مركزية نصـف كروية، تحيط بها أنصـاف قباب بشـكل متدرج، أما بقيت أجزاء المصـلى فيكون مسقوفاً بقباب صغيرة.

2. مظاهر العمارة العثمانية في العراق

1.2. المساجد العراقية في العهد العثماني

1.1.2. جامع المرادية: يعتبر أحد أهم المســـاجد العثمانية في بغداد، حيث أنه شُـــيِّد في زمن والي بغداد مراد باشا، وفي عهد السلطان العثماني سليم الثاني عام 978 هـــ/1570م، كما أنَّ المســـجد يقع في منطقة باب المعظم على جانب الرصـــافة من مدينة بغداد، ويبعد عن جامع الأزبك مسـافة مائة وثلاثون متر تقريباً، ولقد صـدر الأمر السـلطاني من الدولة العثمانية بتجديد عمارته وإعادة بنيانه عام 1319هـ/1901م، وهو على نمط هندسي غاية في الإتقان حيث تعلو الجامع قبة نصف كروية وزينت من الخارج بزخارف من الكاشان وإلى جانبيها ستة قباب صغيرة مفلطحة، وكان يوجد بجوار الجامع خان المرادية الكبير[5].

([4]) إبراهيم الحفوظي، أثر العمارة العثمانية على المساجد الموصلية، مجلة هندسة الرافدين– جامعة الموصل، الجزء 19، العدد 1، 2011 م، ص 114–115.

([5]) محمود شكري الآلوسي، مطبعة دار السلام، تاريخ مساجد بغداد وآثارها، بغداد، 1346هـ/1927م، ص 84؛ وانظر: ريجارد كوك، ترجمة فؤاد جميل ومصطفى جواد، مطبعة شفيق، بغداد مدينة السلام، 1967م،144/1.

يمتاز مبنى المسجد بسقفه القديم وفيه مئذنة مرتفعة، وحرم المسجد واسع بحيث يتسع لأكثر من 400 مصلٍّ تقريباً، وتبلغ مساحة الجامع الكلية حوالي 2000م^2[6].

جامع المُرادية

2.1.2. جامع الأحمدية:

وهو من مساجد بغداد التي بُنيت في عهد الدولة العثمانية، ولقد بناه أحمد باشا الكتخذا نائب سليمان باشا الكبير عام1211 هـ/1796م، وسمي الجامع نسبة إليه، وقد تُوفي سنة 1210هـ ولم يتم عمارته، ثم جاء من بعده أخوه عبد الله بك فأتم عمارة الجامع بعد عام تقريباً وبنى المدرسة الأحمدية، ويقع في جانب الرصافة شرق ساحة الميدان قرب جامع المرادية، ولقد جُدِّد بناء المسجد عدة مرات وأهمها التجديد الذي شمل القباب والواجهة الأمامية وذلك من قبل ديوان الأوقاف وأستمر البناء والتعمير قرابة خمس سنوات حتى نهاية عام 1396هـ/1976م[7].

وتبلغ مساحة الجامع حوالي 2600م^2، وللجامع ساحة واسعة، ومصلى مرتفع عن الأرض وأمامه رواق، وعلى يسار الداخل إلى الجامع مصلّى صيفي، وعلى المصلّى قبة شامخة بنيت بالحجر الكاشاني الملون وقطرها 11 متراً، وفي جانب القبة مئذنة عالية ملونة بالأحجار الكريمة،

([6]) دليل الجوامع والمساجد التراثية والأثرية، ديوان الوقف السني، العراق، ص 27.

([7]) انظر: الآلوسي، ص 73– 74.

ومدرسة الجامع هي مدرسة علمية سميت بمدرسة الأحمدية، وقد درس في المدرسة علماء أعلام ولها شهرة في بغداد[8].

ومن الآثار الخطية القديمة لوحات على جدران المسجد كتبت فيها آيات من القرآن، بخط الخطاط سفيان الوهبي، الذي توفى عام 1266هـ/1850م، ثم دفن في باحة الجامع[9].

جامع الأحمدية

3.1.2. جامع المقام :

يقع جامع المقام في منطقة العشار في البصرة، وهو من مساجد العراق التاريخية التي يرتبط تاريخ انشائها وأسمها بحكم الدولة العثمانية في العراق، وقد شُيِّد وبُني الجامع في عهد الدولة العثمانية عام 1167هـ/1754م، وأول من أسسهُ وبناه الحاج محمد الششتري وعلى نفقة السلطان العثماني عبد الحميد، ويمتاز الجامع بضخامة بنائه وبجمالية هندسة بناءه ونقوشه وزخرفته الداخلية ولقد بني من الطابوق والآجر، وعلى شكل مخروطي ومقوس، ويتسع الحرم

([8]) انظر: إبراهيم عبد الغني الدروبي، مطبعة الرابطة، كتاب البغداديون أخبارهم ومجالسهم، بغداد، 1958م.

([9]) انظر: ديوان الوقف السني في العراق، ص 26.

الداخلي إلى ما يقارب 500 مصل، وبعد الصيانة والتعمير للمسجد في عام 1420هـ/2000م، تبَيَّن وجود قبة أخرى تحت القبة الخارجية، ولا يزال الجامع يحتفظ بأبوابه القديمة التاريخية ومفاتيحه الحديدية الأثرية، وتحتوي خزانته على مصحف نادر يعود تاريخه إلى زمن الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان، وسبب تسمية الجامع بالمقام يعود إلى مبنى دار المقام العالي قبل تأسيسه عام 1167هـ/1754م، ودار المقام العالي هي دائرة كمرك تابعة للدولة العثمانية تشرف على كمرك البضائع القادمة من خارج العراق إلى ميناء البصرة بواسطة السفن عبر الخليج العربي مروراً بميناء شط العرب، وترسو السفن في منطقة الداكير حالياً مما جعل سلطات الدولة العثمانية تتخذ من هذا الموقع مقراً لهذه الدائرة المهمة، لأنَّ المكان أصبح كالميناء ويدر أموالاً، وبعد تشييد مبنى دائرة المقام العالي وأصبح ما حولها منطقة تجارية وصناعية كبيرة، فشجع العاملون في هذا المكان إلى البناء قربها لتتحول إلى محلة سكنية، وسميت بمحلة المقام نسبة إلى مبنى دائرة المقام، وبعد أن تطورت المدينة وكثر السكان شيد جامع المقام الذي اشتق أسمه من اسم المدينة واسم الدائرة[10].

وبعد التطور العمراني لمدينة البصرة وخاصة مركز المدينة العشار امتلأت المدينة بالاسواق التجارية والصناعات اليدوية والشعبية التي احاطت الجامع بأسواق من جميع الجهات.

([10]) ديوان الوقف السني في العراق، ص 151.

جامع المقام

2.2. الخانات العراقية في العهد العثماني

أُنشأت الخانات لأغراض مُتعددة، فقسم منها كان لأغراض دينية (وقفيَّة) كتلك التي يقيم فيها طلاب العلم وزوَّار المراقد الدينية، وقسم منها أنشأه التجَّار والأثرياء بهدف الكسب المادي، وقسم آخر أنشأته الدولة ليكون محطة لسُعاة البريد، ومكاناً لاستراحة الوفود السياسية والعسكرية، لكن الخانات العراقية تغيرت ملامحها مع مرور الزمن، وهذا لا يمنعنا من تسليط الضوء على هذا المعلم الذي كان شاهداً على التقدم المعماري والعمارني في حقبة تاريخية مهمة، على بقعة جغرافية لطالما توالت عليها حضارات متنوعة ومتعاقبة.

1.2.2. الأصل اللُغوي للخان:

اتفقت المعاجم اللغوية على أنَّ كلمة "خان" فارسيّة مُعرّبة، وربما اشتقت من كلمة "خون"؛ وتعني لقب السلطان عند الأتراك[11].

([11]) المنجد الأبجدي، ط5، دار المشرق، بيروت، 1986 م، ص 379.

2.2.2. أهمية الخان

ارتبطت فكرة بناء الخانات في العراق بالحياة الاقتصـادية والاجتماعية كونها اسـتخدمت في بعض الأحيان للتبادل التجاري، ومعظم الخانات في بغداد كانت تؤدي وظائف تجارية مهما كان حجمها أو مخططها المعماري وتسـتخدم بشـكل أسـاسـي للإيجار وذلك لأجل خزن السـلع والبضـائع من قبل تجار الجملة، وفي الوقت نفسـه نُزلا للتجار، حيث كانت محط القوافل التجارية التي تقصـدها لشـراء سـلع وبضـائع معينة أو بيعها، وكانت هذه القوافل بحاجة أثناء انتقالها بين المدن إلى أماكن للراحة بعد عناء السـفر، وكانت الخانات القديمة تحمل طابع الفنادق الحالية إضافة إلى طابع المراكز التجارية التي تعقد فيها الصفقات التجارية.

3.2.2. الهندسة المعمارية للخان:

يتكون الخان الخان عادة من بناء مربع أو مسـتطيل الشـكل[12]، يحتوي على كوى[13] غير نافذة في جميع جوانبه اتسهيل حاجات المسافرين، ويقوم داخل هذا المربع ممر مسقوف يمر حول كل من الجوانب الأربعة[14]، كما يحوي الخان على سـلسـلة من الاسـطبلات حول سـاحة الخان، بالإضـافة لحضـائر مخصـصـة للماشية[15]، كما توجد في كلِّ خان غرفة أو غرفتين قرب البوابة[16]، وفي وسـط الفناء توجد وطيدة[17] مرتفعة ينام عليها المسـافرون صـيفاً[18]، كما يوجد محراب للصـــلاة، زيـادة على ذلـك يوجـد أمـاكن فـاخرة للطبخ[19]، وكميـات وفيرة من الميـاه المسـتخرجة غالباً من بئرة قريبة ملحقة بالخان[20]، كما يحتوي الخان على مدخلِ واحد عبارة عن

([12]) جميس بكنغهام، مطبعة أســعد، رحلتي إلى العراق ســنة 1816 م، ترجمة ســليم طه التكريتي، بغداد، 1968، 238/1.

([13]) الكوى: تعني فتحة. المنحد الأبجدي، ص 853.

([14]) عبد القادر الريحاوي، جامعة الملك عبد العزيز، العمارة في الحضارة الإسلامية، جدة، 1990 م، ص 482.

([15]) اندريه ريمون، ط1، دار الفكر، ترجمة لطيف فرج، المدن العربية الكبرى في العصــر العثماني، القاهرة، 1991م، ص237.

([16]) كونستانس الكسندر، ترجمة المجمع الثقافي، بغداد في الأيام الخوالي، أبو ظبي، 2001 م، ص 146.

([17]) الوطيدة: تعني قواعد البنيان المقوى والمثبت، المنجد الأبجدي، ص 1157.

([18]) السير واليس بدج، دار الزمان، رحلات إلى العراق، ترجمة فؤاد جميل، بغداد، 1966 م، 123/1.

([19]) بكنغهام، 239/1.

([20]) توفيق احمد عبد الجواد، تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، بغداد، 1970م، ص53.

بوابة ضـــخمة تُغلق ليلاً خوفاً من اللصـــوص[21]، والخان غالباً ما يكون على طريقٍ عادةً مايمرُّ منه المُسافرون، ويكون بجانب قرية صغيرة تتراءى للناظرين، والمواد المستعملة في بناء الخانات فهي الحجارة أو الطابوق، مع اللبن[22].

أما النمط المعماري للخان فيختلف من مكان إلى آخر بحسب الغرض الذي على أساسه تم إنشـــاء الخان؛ فعلى ســـبيل المثال فإن الخانات التي أنشـــأتها الدولة العثمانية لتكون بمثابة محطات لسعاة البريد والمبعوثين السياسيين أو الوفود العسكرين، غير تلك الخانات التي أُنشأت لاستقبال المسافرين والزُوَّار[23].

4.2.2. انعكاس الخصائص المعمارية للخانات على الطراز المعماري للمدن العراقية:

إنَّ الخانات مؤسسات قائمة ومتطورة وذات سمات خاصة اكتسبتها على مرّ العصور، ومما لاشك فيه أنَّ هذا الأمر له تأثير في رغبات الناس، فيعكس هؤلاء الناس تلك الرغبات في طرز أبنية أخرى يقيمونها، كالمنازل أو المدارس أو المســـاجد، وهذا يعني أنَّ هناك تأثيراً متبادلاً بين هذه المنشات المعمارية والخانات في المجال المعماري.

فلا غرابة إذا ما وجدنا بعض البيوتات العراقية التي تشبه الخانات في شكلها وتصميمها، كما أن بعض المنشـــات المعمارية أيضـــا كالأســـواق والقلاع، والقصـــور، والدكاكين والحوانيت، والأربطة، والأديرة أو الكنائس، تشـــبه الخانات من حيث ضـــخامتها وبنائها، وســـنعرض هنا أنموذجين للخانات التي بُنيت في العراق في عهد الدولة العثمانيّة:

أولاً: خان بني سعد، فيتبع قضاء بعقوبة ضمن محافظة ديالى.

([21]) هاشم خضير الجنابي، مديرية مطابع دار الكتب في جامعة الموصل، التركيب الداخلي لمدينة الموصل القديمة، الموصل، 1982م، ص18.

([22]) بكنغهام، 239/1.

([23]) انظر: المصدر السابق.

خان بني سعد

ثانيًا: خان دله الكبير، وكان موقعه في ســوق البزازين، وهو خان كبير يتكون من طابقين، متين البناء.

خان دلة

الخاتمة

في ختام هذا البحث، نذكر جملة من الاستنتاجات، والتوصيات، على النحو التالي:

الاستنتاجات:

مما سبق نلاحظ تأثيراً واضحاً لعمارة المساجد العثمانية على التصميم المعماري للمساجد العراقية في جوانب متعددة، لكن لا نستطيع القول بأن الطراز المعماري للمساجد العثمانية هو نفسه للمساجد العراقية التي تم إنشاوها في تلك الحقبة إذ تم فروقات متعددة لا يمكن تجاهلها، وهذه الفروقات ناتجة عن التأثيرات المختلفة على كلا الطرازين، حيث أن عمارة المساجد العثمانية تأثرت بالعمارة البيزنطية لا سيما التصميم المعماري للكنائس، ولا أدلَّ على ذلك من تحويل (آية صوفيا) إلى مسجد، ليكون نموذجاً لبناء المساجد فيما بعد، أضف إلى ذلك التأثيرات السياسية، حيث كانت الدولة معنية بإظهار مدى قوتها وعظمتها من خلال إنشاء مساجد صرحيّة فضلاً عن القصور والدواوين ...، أما المساجد العراقية فجاءت متأثرة بطراز العمارة العبّاسية، وفيها روحانية غير متأثرة بعوامل سياسية، وفي تلك المساجد تستنشق عبق التاريخ.

ومن أوجه الشبه بين المساجد العراقية والعثمانية: المواد المستخدمة في البناء، بالإضافة إلى وجود قواسم مشتركة بين المساجد الإسلامية بشكل عام؛ كالقبة المركزية، وجناحين جانبيين، ومدخل مصلّى مركزي.

أما فيما يتعلق بالخانات: فإنَّ الخانات مؤسسات قائمة ومتطورة وذات سمات خاصة اكتسبتها على مرّ العصور، ومما لاشك فيه أنَّ هذا الأمر له تأثير في رغبات الناس، فيعكس هؤلاء الناس تلك الرغبات في طرز أبنية أخرى يقيمونها، كالمنازل أو المدارس أو المساجد، وهذا يعني أنَّ هناك تأثيراً متبادلاً بين هذه المنشآت المعمارية والخانات في المجال المعماري، فلا غرابة إذا ما وجدنا بعض البيوتات العراقية التي تشبه الخانات في شكلها وتصميمها، كما أن بعض المنشات المعمارية أيضا كالأسواق والقلاع، والقصور، والدكاكين والحوانيت، والأربطة، والأديرة أو الكنائس، تشبه الخانات من حيث ضخامتها وبنائها.

التوصيات:

يوصي الباحث، بتخصيص موضوع: "العوامل المؤثرة في فن العمارة العثمانية" بمزيد من البحث والدراسة، والاستفادة من التصميم المعماري الذي امتازت به المساجد العثمانية عند إنشاء المساجد والمعاهد العلمية.

قائمة المراجع:

أولاً: الكتب

1- الآلوسي، محمود شكري. تاريخ مساجد بغداد وآثارها، بغداد: مطبعة دار السلام، 1346هـ/1927م.

2- الجنابي، هاشم خضير، التركيب الداخلي لمدينة الموصل القديمة دراسة في جغرافية المدن، الموصل: مطابع دار الكتب في جامعة الموصل، 1982م.

3- الدروبي، إبراهيم عبد الغني. البغداديون أخبارهم ومجالسهم، بغداد: مطبعة الرابطة ، 1958م.

4- الريحاوي، عبد القادر. العمارة في الحضارة الإسلامية، جدة: جامعة الملك عبد العزيز، 1990 م.

5- زين الدين، محمود، عمارة المساجد العثمانيّة، لبنان: دار قابس، ط1، 2006.

6- عبد الجواد، توفيق أحمد. بغداد: تاريخ العمارة والفنون الإسلامية، 1970م.

ثانياً: الكتب المترجمة:

1- بكنغهام، جمس. رحلتي إلى العراق سنة 1816م، ترجمة سليم طه التكريتي، بغداد، مطبعة اسعد، 1968م.

2- بدج، السير واليس. رحلات إلى العراق، ترجمة فؤاد جميل، بغداد: دار الزمان، 1966م.

3- ريمون، اندريه. المدن العربية الكبرى في العصر العثماني، ترجمة لطيف فرج، القاهرة: دار الفكر، ط1، 1991م.

4- الكسندر، كونستانس. بغداد في الأيام الخوالي، أبو ظبي: ترجمة المجمع الثقافي، 2001م.

5- كوك، ريجارد. بغداد مدينة السلام، ترجمة فؤاد جميل ومصطفى جواد، مطبعة شفيق،1967م.

ثالثاً: المقالات المنشورة

1- الحفوظي، إبراهيم. أثر العمارة العثمانية على المساجد الموصلية، مجلة هندسة الرافدين في جامعة الموصل، ج 18، العدد 1، 2010، ص 110- 122.

رابعاً: المعاجم والموسوعات:

1- دليل الجوامع والمساجد التراثية والأثرية، العراق: ديوان الوقف السني.

2- المنجد الأبجدي، بيروت: دار المشرق، ط5، 1986م.